# كلمة الأستاذ الدكتور عادل العوا

## في حفل استقباله

### اللغة العربية والمشاركة الثقافية العالمية

العروبة انتماء محبة وولاء ، محبة الأمة العربية ، خيرِ الأمم ، وولاءٍ للمُخلَّص الكَمَلة الفضلاء من عشّاق الذود عن حياضها ، والنهوض بإمكاناتها ، ولا سيما من بني جلدتها . وهل من يضارع رسل مجمع اللغة العربية جهاداً صادقاً في سبيل الأمة العربية ولغتها الشريفة النامية ؟ إنهم ، كما وصف ( التوحيدي ) جماعة ( إخوان الصفاء ) ، « مَنْ تألفت قلوبهم بالعشرة ، وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة » ، فنذروا جهودهم وجهادهم ، وأنفقوا مددهم وأعمارهم ، في سبيل هذا الهدف السامي الرفيع ، والغرض الأسمى النبيل .

وإنه ليشرفني ، ويسعدني ، أن أرى حقبة أخيرة من حياتي الفانية يتوّجها تكريمٌ رفضتُ دونه كلَّ تكريم ، ويَهيب بي وعي مسؤولية ثمينة غالية إلى مزيد من الشكر لمن جادوا باقتراح قبولي في هذه الندوة العريقة ، وهم الأماثل زملاء المستقبل ، والشكر والامتنان كذلك لسيادة الرئيس القائد الذي أيّد هذا الاقتراح وأقرّه بإفضال سابغ . وأخص بالشكر أوفرِه الصديقين العزيزين الدكتور شاكر الفحام والدكتور محمد زهير البابا ، وقد أغدقا علي من وحي عطفهما ثناءاً ، كما شهدتم ، لا أجدني جديراً بأقله ، فكيف أفوز بأكمله ؟



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أيها السيدات والسادة .

إن ألفاً من السنين الأخيرة من تاريخنا ، تفصلنا عن نشاط ( أخوان الصفاء ) . فلنتمهل لحظة نبصر فيها بعض ما طرأ من فوارق ، وبعض ما ثبُت من اهتمامات .

يتابع ( التوحيدي ) كلامه على جماعتهم ، حاكياً قولهم : « إن الشريعة قد دُنّست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، لأنها حاوية الحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية » .

وقد تمخض مسعاهم ، في الأحوال كلها ، عن رسائل كثيرة يشبه أن يكون مجموعها موسوعة تامة للمعارف الإنسانية السائدة في عصرهم ، من حساب وفلك وهندسة وموسيقا ، إلى العلوم الطبيعية والنفسية والدينية الناموسية أو الإلهية . فهم لم يعادوا علماً من العلوم ، ولا فناً أو صناعة أو أسطورة ، حتى السحر والعزائم والتنجيم . وقد تناولوا مصطلحات هذه الإحاطة الشاملة بالإيضاح والتدقيق ، وما زالت رسائلهم تشهد على حيوية اللغة العربية ، ونباهة الناطقين بها آنذاك ، وقد حققوا نصراً مبيناً في معركة التعبير عن كل ما خطر ببال بشر بلغة جلية ، ومصطلحات مبتكرة ، ولم يفتّ في عضدهم عجز ولا قُصور .

وها نحن أولاء بعد قرون عشرة نملك من أدوات المعرفة ، وأجهزة حفظها وتطويرها ما لم يكن لهم به عهد ، ونطرح على أنفسنا تساؤلاً عن مراكز اهتمامنا العلمي والثقافي . أترانا نكرر عنايتهم بصلة الشريعة والفلسفة بمثل الصدق والعمق والحرية التي كانت تواكب بحوثهم ومناقشاتهم ؟

**مطالب المجمعيين :**

لقد أحببتُ ، بغية الإجابة ، أن أستلهم طرفاً من أراء السادة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المجمعيين ، فقرأتُ ما اتفق لي من الخطب الملقاة تقليدياً في حفلات استقبال الأعضاء العاملين الجُدد ، فوجدت إجماعاً رائعاً ، وطبيعياً ، على الإشادة بلغتنا الحبيبة الشريفة « التي كرّمها الله فأنزل بها كتابه المعجز ليكون هدى للعالمين »[١] ، وهي « اللغة المقدسة التي تعلو في شموخها على سائر لغات العالم »[٢] . وأنا أعلم أن ( أخوان الصفاء ) ، مثلاً ، يجلّون العربية كذلك بقولهم : « اللغة التامة لغة العرب ، والكلام الفصيح كلام العرب ، وما سوى ذلك ناقص . واللغة العربية في اللغات مثل صورة الإنسان في الحيوان ... وهي تمام اللغة الإنسانية ، وختام صناعة الكتابة ، ولم يحدث بعدها شيء ينسخها ، ولا يغيرها ، ولا يَزيدها ، ولا يُنقِصها »[٣] .

هذه الإشادة باللغة العربية ، وهذا الإيمان بتفوقها ، بل بتفردها ، وربما بتقديسها ، قاسم مشترك ، وصلة متصلة بين أجيال الأمة العربية الواحدة في تاريخها التليد والطريف . أليست « أم اللغات » كما قيل[٤] ؟. بيد أن السادة المجمعيين ، جلّهم ، يعزِفون عن « الميتافيزياء » القومية أو الدينية . وهم بذلك يختلفون عن الأسلاف المبجَّلين ، وإن آمنوا بأن « من أراد خيراً بهذه الأمة خدم لغتها وصانها من العابثين »[٥] .

فمن « الخالدين » من يشكو « داء انتفاخ الأفكار » حين يُعبَّر عن فكرة بسيطة بلفظة أكبر من هذه الفكرة « فيسرع النَحْر والبِلى إلى لغتنا ، ويتباعد ما بين عقليتنا وعقليات الأمم »[٦] . ومنهم من يستخلص من ملكية الأجيال العربية لغتَها ضرورة « أن ينضاف عن طريقها جديد إلى قديم » « لنواكب ما بين اللغة وبين الحياة قبل أن ينفصم الذي بينهما » « ونضمن للفكر العربي كله أن يعمل في طلاقة وحرية »[٧] . ومنهم من يحذّر من الدعوات الفاسدة في مجال اللغة « لأن لِلغة في حياة الأمة العربية شأناً



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كبيراً ، وقيمة أعظمَ من قيمتها في حياة أي أمة من الأمم »[٨] . وقد « تداعت على اللغة العربية الأمم : كبيرُها وصغيرها »[٩] ، كما أن « أخطر ما يتهددها هو هذه الأمراض التي تساور بناءها الصحيح ، وتتسرب إلى ينابيعها الثرَّة الصافية كالسُمّ الخفي »[١٠] .

ويمضي مجمعيون خطوات أخرى في درب المنحى الواقعي . فيرى الأستاذ نائب رئيس المجمع الدكتور ( شاكر الفحام ) « أن أمانة المجامع العربية تلتقي وأمانة الجامعات لتكون الفصحى لغة العلم والتعليم والإدارة والحياة اليومية في الوطن العربي » . و « العربية قادرة على الاستجابة لكل ما جَدَّ ويجدّ من كشوف في مجالات العلوم البحتة والتطبيقية والتكنولوجية والإنسانية »[١١] . ويطمح مجمعي عزيز إلى قيام مجمع موّحد للغة العربية تسهم فيه الأقطار العربية كافة « نشداناً للوحدة الثقافية » التي هي « اللبنة الأولى في صرح الوحدة السياسية » ، وهي عنده كذلك « لبنة في مؤسسة أكاديمية واسعة تضم النابهين من المفكرين والأدباء واللغويين والعلماء »[١٢] . وكان أستاذنا الدكتور ( جميل صليبا ) يطلب « إنشاء مجمع علمي واحد » . واكتفى الزميل ( عبد الكريم زهور ) « بتوثيق العلاقة بين مجامع اللغة العربية ، وتشكيل ما يشبه الهيئة المركزية .. تُوزِّع على المجامع الأعمال ، ثم تنظر في النتائج ، وتقرّ ما تقرّه ، وتعمّمه »[١٣] .

إن الأمنيات تعكس ، من الناحية الجدلية ، نقائص وعَوَزاً . فممَّ تشكو اللغة العربية والناطقون بها ؟ وما هي الجهالات التي دنّست لغتنا الجميلة بعد أن دنّست الشريعة الغرّاء ؟ وكيف السبيل إلى غسل اللغة وتطهيرها كما شاؤوا غسل الشريعة بالفلسفة ؟

لقد نبّه الأمير ( مصطفى الشهابي ) إلى « مبلغ اتساع العلوم الحديثة اتساعاً يحيّر العقول . ورأى أن العلوم والفنون الحديثة تدهمنا من جميع


هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جوانبنا ؛ ومجامعنا اللغوية والعلمية بطيئة في وضع المصطلحات العربية »[١٤] . بيد أن للقضية وجهاً آخر ، على الأقل ، يجدر بنا الالتفات إليه ، والعناية به . فلم يبق « انتفاخ الأفكار » هو المشكلةَ وحسب . وكذلك داء العجمة والرطانة العتيقُ جداً ، وهو يهدد اللغة الفصحى بخطر ألا يجيدها إلا فئة من المتخصصين ، بعد أن ساءت أساليب تعليم اللغة وعلومها ، ومُنيت الأجيال الفتية بنَفْرة منها ، وهبّت عواصف الشعوبية تدعو إلى اللغة العامية ، وتمارسها ، وتدّعي عجز لغة القرآن عن مواكبة مسيرة العلم والفن ، زاعمة أن من الخير أن يُستبدل بها اللغات الأجنبية ولا سيما في تدريس العلوم .

**التفاعل التاريخي :**

وهذا الوجه الآخر الذي نحب أن نلفت الانتباه إليه هو التفاعل التاريخي الراهن في عالمنا المعاصر ، حيث تضاءلت الأبعاد ، وقصرت المسافات ، وكثر التواصل بازدياد وثّاب ، وصار للدول ذوات الوسائل الأحدث التأثيرُ الأقوى في توجيه الوقائع والأفكار . وبات من أثر التفاوت بين العوالم السياسية اضطرامُ الجشع ، وطغيان العدوانية الشمولية على الوجود العربي . ومن أخفى أسلحته تجاهلُ هذا الوجود ، وقَصْر الاكتراث به على مسعى الاساءة إليه في السرّ أو العلن .. ومن هنا كانت دعاوى انتقاصِ الامكانات العربية في كل مجال ، ومنها مجال الثقافة والعلم والفكر والأدب والفنون .

إننا نود إماطة اللثام عن بعض هذا التجاهل العالمي ، شبه العالمي ، وهو يتطلع إلى أن يُسقط من حساب الحضارة العالمية الثقافة العربية في سالفها وحاضرها ، ويسدَّ الطريق أمام تطويرها ومستقبلها . وسبيلنا إلى ذلك سبيل ذاك الفيلسوف القديم الذي نهض وسار ليبرهن على إمكان الحركة بالحركة ، حاسماً على هذا المنوال تخبط المتخبطين .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد اخترنا للتمثيل على مشاركة ثقافتنا الثقافة العالمية إلماعات سريعةً في ميدانين أساسين هما : ميدان الشعور الديني ، وميدان الشعور الفلسفي . وغرضنا توضيح أن إسهام العرب غابراً وحاضراً في صنوف النشاط الإنساني كلها ، ومنها هذان المجالان ، يمنحنا الحق في متابعة الخطا ، وغذّ السير لمواكبة ما بلغ الآخرون من المتقدمين في وقتنا ، بل حق/وواجب/الاسهام فيما يتصور المستقبليون من إمكانات قادمة لمصير الإنسانية ، الممكن والمحتمل .

**المجال الديني :**

ففي المجال الديني ، يرى المتتبع ، بادئ ذي بدء ، أن اللغة العربية تنمّ عن توافر الأنماط الابتدائية من الظاهرة الدينية في الجزيرة العربية قبل الإسلام . وهذا يعني أن للأمة العربية في غابرها إسهاماً في سيرورة الشعور الديني وتطوره من طوطمية ووثنية حتى التوحيدية . ولما ظهر الإسلام ، وتتابعت الدعوة إليه في ظل الدولة العربية فالأموية فالعباسية ، تأكد التفاعل الكلامي ، بل والصوفي ، مع ما يماثل هذين المنزِعين في الديانتين السماويتين السابقتين . ونحن نعلم ، من ناحية أخرى ، أن البحث العلمي في الشؤون الدينية ما انفك يزداد أهمية وتنوعاً واتساعاً ، حتى في أقطار ليست الممارسة الدينية فيها أمراً لازباً كلياً . وقد واكب البحثَ الاعتقادي في كنه الدين بوجه عام بحثٌ متطور تبع نماء العلوم التاريخية والإنسانية : فكان من ذلك علم النفس الديني ، وعلم الإجتماع الديني ، وتاريخ الأديان ، والأديان المقارنة ، والظواهرية الدينية ، وآل الأمر حالياً إلى ما يسمى علم الأديان ، وهو مسعى يود العثور على جوهر التدين باستقراء معطيات الديانات كافة ، أعني حقيقة القداسة والمقدس .

وليس هنا مجال سرد كثير من التآليف العربية التي تمضي مع هذا


هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النشاط العلمي العالمي . ونكتفي بالإشارة إلى واقع مهم يبيّن الحرص على الانفتاح العربي العقلي والقومي المعاصر ، والمؤيِّد للتآزر الإنساني في حقل المعرفة الدينية ، وإن ظلت جوانب من هذه المعرفة تُعدّ قبل فترة وجيزة من العقائد السرية المكتومة عن غير مستحقّيها .

ذاكم مثلاً هو الانفتاح الذي نشاهده اليوم لدى بعض النزعات أو التيارات كالإسماعيلية التي أخذ معتنقوها ينشرون على الملأ ما كان مكتوماً ، ويذيعون ما كان محجوباً . ويحق للممعن أن يدرك بجلاء أن للفلسفة الباطنية جذوراً هي عينُها الجذور التي نلقاها في الفلسفة الإسلامية الظاهرة . وما الفارق الأساس بينهما سوى فارق التأويل ، شأنه هنا كشأنه في كل مكان مماثل في سائر الديانات العالمية أن ينوس بين تفسير حرفي مرفوض ، وبين دلالات مجازية طريفة أو مبتكرة . ولا يخفى أن « جلاء العقول » العالِمة بمزيد من جلاء جوانب هذه الفلسفة الباطنية إنما يسهم إسهاماً جليلاً في توحيد الشعور القومي العربي من ناحية ، ويضع في الوقت ذاته لبنة جديدة في صرح التكامل الثقافي العالمي من ناحية أخرى .

غير أن لهذا الصرح الديني العالمي جوانب مهمة أخرى كان للعرب والمسلمين فيها إسهام عظيم ناجع . من ذلك ما نعلم عن قصة الفكر الحر ونشأته وتطوره في جو الصراع العقائدي السياسي – الاجتماعي معاً . فقد طَمَح رواقيو ( رومه ) إلى تحرير الإنسان العبد . وجاء المعتزلة بتحرير الإنسان الفكر . وأعقبهم كثيرون من طبقة ( روسو ) و ( فولتير ) و ( مونتسكيو ) و ( دولباخ ) و ( لوك ) و ( ستورت مل ) و ( رينان ) و ( لوازي ) . وانتهى الأمر إلى مقولة الفكر الحر ، وآل إلى صوغ شعاراتِ عالمنا المعاصر المتقدم . تقول الوثيقة العالمية لحقوق الإنسان : « لكل شخص الحق في حرية التفكير والاعتقاد والديانة » . وقد ألحف المعتزلة من



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قبل على الدفاع عن الدين بتحرير العقل الإنساني ، راجين تحول حرية التفكير في الإسلام إلى فكر حر جهد المستطاع . رائدهم في ذلك آية قرآنية كريمة : « لا إكراه في الدين »[١٥] ، وآية أخرى كذلك : « أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ »[١٦] . وقد امتد تأثير المعتزلة إلى فرق السنّة والجماعة والشيعة وإلى الفلاسفة و ( المعري ) و ( مسكويه ) ، وإلى الثقافة الأدبية واللغوية ، وإلى الثقافة الإسلامية غير العربية ، بل وإلى الفكر اليهودي .. ولئن خَفَت صوت المعتزلة مذهباً ، فإن الاعتزال ، بأصالته العربية والعالمية ، ما زال ينمو في دنيا البشر روحاً وموقفاً .

**المجال الفلسفي :**

لننتقل الآن إلى المجال الفلسفي بالمعنى الدقيق .

فقد أهمل مؤرخو الفلسفة الغربية الكلام ، إلا بنحو من الاستثناء ، على الفلسفة العربية ، وتجاهلوا إسهامها الثرّ والأساسي في نماء النشاط الفلسفي الغربي فالعالمي ، وقلّ منهم من أنصف العرب والفكر العربي ، فوجب التنبّه إلى إحقاق الحق ، وإعادة الأمور إلى نصابها بإحلال النشاط الفلسفي العربي – الإسلامي محله الصحيح من تطور الفكر الفلسفي العالمي ، وغدا مُنكراً زعم ( رينان ) « أن الفلسفة العربية فلسفة إغريقية بحروف عربية » ! وقد فاته أن الفلاسفة العرب القدامى لم ينسِجوا على منواله ، ولم ينظروا نظرة عرقية كنظرته ، وإنما وجدوا أن الحقيقة ملك البشر كافة ، وإن ثمة قرابةً روحية ، ونَسَباً ثقافياً ينمّ عن اتصال تاريخي بين الشعوب والحضارات ، وإن انتقلت مراكز التميز من شعب إلى شعب ، ومن أمة إلى أخرى . آية ذلك إيمان ( الكندي ) بأن الحقيقة تراث مشترك بين الأمم على مرّ العصور ، وعلى الرغم من تفاوت المكان والزمان والديانة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واللغة والجنس .. وقد أوجب ( الكندي ) ، فوق ذلك أن يشكر اللاحق السابق الرائد . يقول : « مِن أوجب الحق ألّا نذمّ من كان أحد أسباب منافعنا الهزلية ، فكيف بالذين هم أكبر أسباب منافعنا العظام الحقيقية الجدية » . فإنهم « كانوا لنا أنساباً وشركاء فيما أفادونا من ثمار فكرهم ... فينبغي أن يعظم شكرنا للآتين بيسير الحق ، فضلاً عمن أتى بكثير من الحق إذ أشركونا في ثمار فكرهم » . وهذا الشكر والعرفان يتجدد لدى سائر الفلاسفة والمفكرين العرب والمسلمين ، حتى لدى ( ابن رشد ) ، المتيّمِ بـ ( أرسطو ) ، وشارحِه الشهير ، وصاحبِ مذهب الرشدية الذي كان له الأثر العميق في تطور الفكر الغربي عامة ، والتوماثية بوجه خاص .

وقد رصد استاذنا المجمعي الدكتور ( جميل صليبا ) ، قبل ثلاثين عاماً[١٧] ، الإنتاج الفلسفي العربي خلال المائة السنة الأخيرة ، وأشار إلى أن المشتغل بالفلسفة كان في العصور المظلمة يُرمى بالمروق من دينه ، ويُتَّهمُ بالزندقة والإلحاد . ثم جاءت مراحل « مدّ البصر إلى أقصى حدود المعرفة . وعمد مؤلفون ومترجمون إلى وضع المصطلحات العربية للتعبير عن المعاني الفلسفية الحديثة ، فأغنَوا لغتنا العربية بالألفاظ الفلسفية ، ومكنّوها من التعبير عن دقائق الفكر الحديث . يقول : « إن العالم العربي لم يتمخض عن فيلسوف عربي كبير على طراز ( أفلاطون ) و ( أرسطو ) و ( ابن سينا ) و ( ابن رشد ) » . وإن ثمة أساتذةً آثروا العناية بتاريخ الفلسفة « وألّفوا كتباً لا تخلو من النظر الدقيق ، والتحليل العميق » . ولكن الأستاذ الكبير ينتهي إلى تمييز اتجاهات كثيرة في الإنتاج الفلسفي المعاصر ، ليس أقلّها الاتجاهُ المادي ، والعقلي ، والروحي ، والتكاملي ، والوجودي ، والشخصاني ، والعلمي » . وعندنا أن هذه الاتجاهاتِ السبعةَ تدل على مشاركة العقل العربي في منازع مختارةٍ من الفكر الغربي والعالمي الراهن . ولكنَّ لهذه المشاركة تاريخاً أعرقَ من تأثر الباحثين المعاصرين بالاحتكاك



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجديد بالثقافة العالمية . فإذا رجعنا بإلماعة إلى الماضي ألفينا الفلسفة العربية حلقة لازبة في تطور النشاط الفلسفي . وإن المشكلات التي طرحها في الإسكندرية الفكر اليهودي لدى ( فيلون ) ، والمسيحي لدى ( أفلوطين ) هي مشكلات علم الكلام ذاتُها . ومن نظرية الفيض تمتح الفلسفة ( الفارابية ) و ( السينوية ) والفلسفات الباطنية التأويلية دون أن يغفل أي مفكر « تقويم » أفكارِ من سبقه ، فتجدهم يجلّون القدامى ، غير غافلين عن قصورهم تارة ، وأخطائهم تارات .

وقد عمدوا إلى تصحيح الغلط ، وتدارك النقص ، والمضي قدماً إلى حلول مبتكرة لمشكلات « ميتافيزيائية » مستعصية . ولم يشذّ نهجهم في هذا كله عن النهج العالمي في الفلسفة ، أعني الطريقة التفكيرية التي نشاهدها هي هي لدى ( أفلاطون ) ، و ( الفارابي ) ، و ( ابن سينا ) . وإن الجدل ذاته هو الذي يتيح للشيخ الرئيس بناء فلسفته بتعمق مفهوم واجب الوجود وتحليل ما ينطوي عليه هذا المفهوم تحليلاً خلفياً مشفوعاً باستطراد أمامي ، ويجيز ربط معنى آله الفيلسوف بفكرة خلق العالَم ، والانتهاء من ذلك إلى اتفاق الحكمة والشريعة ، والعقل مع النقل ، شأن الفلاسفة المسلمين إجمالاً ، وفلاسفة العصر الوسيط الأوربي بوجه أعم . بل إن ( الغزالي ) نفسه ، صاحب النفحة الإلهية ، والإشراقة القلبية ، لا يبعد عن ( ديكارت ) في منطلق الشك المنهجي الموصل إلى يقين الكوجيتو ( الديكارتي ) من جهة ، وإلى ذي العزة والجلال بالذوق الصوفي عند ( أبي حامد ) ، من جهة آخرى .

**المشاركة المعاصرة :**

إن أستاذنا الجليل الدكتور ( صليبا ) لم يدرك منزعاً راهناً لاحقاً في الفكر الفلسفي المعاصر ، وهو المنزع الذي يعي دقائق المشاركة العربية في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الثقافة العالمية ، وذلك بالانطلاق من واقع العروبة التي تواجه في هذه الفترة الأخيرة من القرن العشرين تألباً شبه عالمي يود القضاء عليها وتدميرها ، لولا أن الشعوب لا تموت ، وإن أمكن أن تحيق بها هزائم نكراء ، ونكسات ماحقة الفكر واللغة والثقافة جميعاً .

وهذا المنزع المعاصر محاولة نضالية هادفة تسعى ، في المرتبة الأولى ، إلى إعادة البرهان على حيوية الفكر العربي ، وعلى إمكاناته اللامحدودة ، واللامحددة ، بما لا يقل سطوعاً عن نصوع ما يتحلى به تراثنا العربي الماجد ، وتسعى ، في المرتبة الثانية ، إلى مشاركة حضارية في التقدم الإنساني على سلّم المعمورة بأسرها . ونحن سنختار للتمثيل على هذا المنزع الثاني الإلماع إلى جانبي النظر والعمل ، فنختار أولاً في ميدان النظر العقلي ما يسمى اليوم مجال الأبستمولوجيا أو نقد العلوم . ونختار ثانياً في ميدان العمل ما يعرف باسم فلسفة القيم ، وهو ميدان وسيع جد وسيع ، وله فروع بعضها جمالي فني فيه كلام على البلاغة ، ومن ضروبها التهكم . وبعضها الآخر أخلاقي ، ومن شُعبه الحديث عن الفضيلة عامة ، وعن الكرامة الإنسانية بوجه التخصيص .

فقد بدأ مفهوم العقل في الفكر اليوناني القديم على صورة « هواء مفكر » في نظر ( ديوجين الأبولوني ) ، ثم أصبح « ناراً كونية » في نظر ( هرقليط العجوز ) ، وسما به ( أناكساغور القلامازوني ) إلى فكرة « المبدأ الروحي المدبّر للكون » . وانحدر به المغالطون إلى درك التمويه الذكي طلباً للربح أو الجاه . فجاء ( سقراط ) ، ومن بعده ( أفلاطون ) فـ ( أرسطو ) ، وإذ ذاك استوى الفكر المنطقي القديم على سوقه ، ونهض العرب بنشاطهم الدؤوب ، وأسهموا في تنمية هذا كله ، وولّدوا من معنى العقل البسيط معاني شتى هي بلا ريب مشاركة ثمينة في رقي الفكر الإنساني العالمي .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لنذكر من ذلك قبسة لغوية . العقل هو الحِجى ، لإصابة الحُجَّة به . وهو الحِجْر لحجره عن ركوب المناهي . والنُهى لانتهاء الذكاء والمعرفة إليه . وهو اللبّ ، والملجأ ، والحبل ، والعِقال ، والعاقل ، أو المعقول ، ذو مِرَّة ، أي عقل ، لأن أصل المِرّة إحكام الفتل . والعقل في الاصطلاح جوهر روحاني ، أو نور في القلب يعرف الحق والباطل ، أو هو قوة للنفس بها تستعد للعلوم والادراكات . وثمة عقل هيولاني ، وعقل بالملكة ، وعقل بالفعل . وفي مجال السلوك : إذا كان المرء في أول درجة العقل يسمى أديباً ، ثم أريباً ، ثم لبيباً ، ثم عاقلاً . كما أن الرجل إن كان في أول حد الدهاء قيل له : شيطان . فإذا عتا في الطغيان قيل : مارد . فإذا زاد على ذلك قيل : عبقري . فإذا جمع إلى خبثه شدة شر قيل : عفريت . وكذلك الجاهل : يقال له في أول درجته : المائق ، ثم الرقيع ، ثم الأنوك ، ثم الأحمق(١٨) .

أتراها ألفاظاً عربية لأمة واحدة وحسب ، أم أن في مضمونها إغناءاً رائعاً لدلالات إنسانية عالمية يحسن بالآخرين أن يمتحوا منها قيماً نفسية واجتماعية وسلوكية معاً ؟

العقل ، والمنطق ، والقسطاس المستقيم أو منطق الرحمن عند ( الغزالي ) ، ونقض المنطق لدى ( ابن تيمية ) ... وضروب الشروح على منطق ( أرسطو ) ، والروح الانتقادية المنطقية لدى ( ابن المقفع ) و ( النظّام ) و ( الجاحظ ) و ( المعري ) و ( اخوان الصفاء ) و ( أبي زكريا الرازي ) .. كل ذلك يجيز للنشاط العربي أن يشغل موقعه في نماء الفكر العقلي الإنساني العالمي . ولم يأل المعاصرون جهداً في مسعى اللحاق بركب التطور المنطقي من المنطق الصوري أو التقليدي إلى منطق التناقض والجدل الثلاثي فالمنطق الرمزي ومنطق الأولويات ( الاكسيوماتيك ) فالمنطق القيمي ومنه الابستمولوجيا أو نقد العلوم . وتكفينا الإشارة إلى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما نشرت وزارتا الثقافة والتعليم العالي بدمشق من آثار باحثين عالميين في هذا المجال المتقدم الأخير ، من طبقة ( جان بياجه ) و ( غاستون باشلار ) و ( روبرت بلانشه ) أو ( اليونسكو ) ...

ذلك أن لفظ الأبستمولوجيا مركب من ( ابستيمه )، وهي العلم ، و ( لوجيا ) ، أو المقال . وقد ذهب فريق إلى أن هذا المبحث يعني « علم العلم »[١٩] ، أو أنه « نظرية المعرفة » .. أو أنه « فلسفة العلوم » كما يقول ( لالاند ) ، صاحب المعجم الفلسفي التقني الانتقادي . ولا مراء في أن هذا الاختلاف في التسمية ينمّ عن اختلاف في التحديد وفي الممارسة ، ويوجب عوداً موصولاً إلى تاريخ العلوم ، ومنطق العلوم ، وربما أُتخذ نقد الفلسفة ذاتها موضوعاً أبستمولوجياً ، فتصبح صِنو ما يسمى التاريخ الفلسفي الانتقادي . وقد جنح ( غاستون باشلار ) إلى تمييز نوعين من الأبستمولوجيا : إحداهما تنقد العلوم ، والأخرى تنقد الأدب .. ودعا إلى ما يسميه التحليل النفسي للمعرفة . وابتكر ( جان بياجه ) ما يدعوه الأبستمولوجيا التكوينية ، وبعض آثاره فيها قيد الترجمة في وزارة التعليم العالي بدمشق ، كما أسهم مترجمون سوريون ، بإشراف هذه الوزارة ، منذ سنوات قليلة ، في نقل أفكاره الأساسية إلى اللغة العربية ، وأسهم سواهم من قطرنا ومن أقطار عربية أخرى في تنمية أراء ( باشلار ) ، وتعميق أفكار مدرسته .

**فلسفة القيم :**

وعلى غرار إسهام الفكر العربي في مراحل تطور المبحث المنطقي حتى الأبستمولوجيا ، كان له إسهام حميد آخر في ميدان فلسفة القيم أو ( الاكسيولوجيا ) من ميادين الفكر العالمي المعاصر .

ومن خاصة هذا المبحث الطريف أنه علم يتناول ما هو ثمين ، كما



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول ( لافيل ) . فهو يبحث القيم ويشكل فلسفة قيم أو نظرية قيم . وفي مكنة الممعن في تاريخ الفكر الإنساني أن يكتشف بجلاء انطواء كل فلسفة على مسعى قيمي : قيم الخير ، والحق ، والجمال ، وما يتفرع عنها ، ويتصل بها ، ويكملها في عصرنا ، وفي العصور اللاحقة . ومن الجائز قولنا : « إن الإنسان حيوان مقوِّم » أو : « في البدء كانت القيمة » . والقيمة تصور وواقع ووعي . بل إنها وعي بتصور الواقع بالإضافة إلى ما يجب أن يكون .

لقد كان الفلاسفة والمفكرون الإنسانيون ، ومنهم مؤمنون ومتكلمون ، ينشدون معنى الكمال . والكمال في حقيقته تشوف وتطلع ، تجربة قيمية . وكل فلسفة ذات مطمح عملي هي فلسفة قيمة . إنها حكمة . والحكمة اتخاذ العمل والسلوك ( براكسيس ) غرضاً للتأمل والنظر . وإنما فلسفة القيم ، في آخر المطاف ، فلسفة تغيير العالَم ، فلسفة أنسنة الكون ، أي فلسفة تحديد الإنسان مصيره ومصير الوجود .

البشر كافة ، في جميع أصقاع الأرض ، يتحدثون بالنثر أسلوباً . وبعضهم يجهل معنى النثر لأنه لا يضيفه إلى سواه ، كالشعر . وكذلك فإن الناس قاطبة يمارسون القيم في حياتهم حتى اليومية ، من تغذية ، ودفء ، وسكن ، إلى عقائد وعلاقات أسرية ومهنية واقتصادية . بيد أن جلَّهم لا يفقه قوام ما يفعل . وما فلسفة القيم سوى وعي هذه الممارسة بالذات ، والتعبير عنها بدقة وجلاء . وقد كان للغة العربية ، والأدب العربي ، إسهام رائع في تنمية هذا الوعي القيمي ، وإن تأخرت تسميته باسم الفلسفة القيمية ؛ فمثل ذلك قد حدث في جميع الثقافات ، ولدى الأمم كلها ، حتى مستهل القرن العشرين ، حيث مولد الوعي القيمي .

إننا نلمس بيسر روعة الرافد العربي منذ الإشارة إلى أقرب الأمثلة اللغوية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

**أمثلة لغوية :**

تقول نظرية راجحة أن ليس بين الألفاظ العربية ترادف مطلق ، بل ثمة فويرقاتُ تفاضل دقيقة تبلغ درجة الإذهال في التعبير . فهذا ( أبو منصور الثعالبي ) ، مثلاً ، يمتّعنا بكلامه على أوصاف الإنسان السيد قائلاً[٢٠] :

السيد : الحُلاحل ، وهو السيد الشجاع . والهُمام ، وهو السيد البعيد الهِمّة . والقُمقَام ، وهو السيد الجواد . والغِطريف ، وهو السيد الكريم . والصِنديد ، وهو السيد الشريف . والأروع ، وهو السيد الذي له جسم وجِهارة . والكوثر ، وهو السيد الكثير الخير . والبهلول ، وهو السيد الحسن البشر . والمعمّم ، وهو المسود في قومه . ومثل هذا الإبداع التقويمي نجده في وصف المقابح . وما برح التضاد القيمي في ألفاظ المدح والقدح ، وتمايزها ، يغذّيان – بتفاعلهما – الإبداع الأدبي ، والمقامات ، والروايات ، وكتب المحاسن والمساوئ ، والمحاسن والأضداد ، ويَعُمران ميادين الفخر والهجاء .

قيل في مدح العقل : إنه يقلب الأمر إلى ضده ، والقيمة السلبية قيمة إيجابية . يقول ( البستي ) : « كفى بالعاقل فضلاً ... أن تُجعل البلادة منه حلماً ، والحدة ذكاءاً ، والعِيّ صمتاً ، والإسراف جوداً ، والإمساك تقديراً ، فلا تكاد ترى عاقلاً إلا موقراً للرؤساء ، ناصحاً للأقران ، متحرزاً من الأعداء ، غير حاسد الأصحاب ، ولا مخادع للأحباب ... لا يمدح أحداً إلا بما فيه »[٢١] .

أما الأحمق فإن له شيماً كريهة كلها . من شيم الأحمق العجلة ، والخفة ، والعجز ، والفجور ، والجهل ، والمقت ، والوهن ، والمهانة ، والتعرض ، والتحاسد ، والظلم ، والخيانة ، والغفلة ، والسهو ، والغي ، والفحش ، والفخر ، والخيلاء ، والعدوان ، والبغضاء[٢٢] . إنها عشرون شيمةً مذمةٍ تشكل صورة تامة لإمكانات سلوك قيمي مرفوض ، لا ندري



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إن كانت اللغات المتقدمة الأخرى قد انتهت إلى ما يقاربها ، أو يدنو منها ، دون أن تزيد عليها . ونحسب أن في الأدب المقارن متسعاً رحباً لمثل هذه البحوث وأضرابها ؛ مما يتعلق حتى بالأمثال ، كل الأمثال ، وهي تنطوي على دلالات قيمية شديدة الاتصال بالوقائع ماضية ومتوقعة ، أو مفترضة ومتخيلة . ولكنها في الحق وقائع تعكس كذلك أمام الناظر المدقّق أصداء صلات الأمم بعضها ببعض ، وتفاعل عاداتها وخصالها ، وحتى أمزجتها وأيامها . ولو أتيحت لجائزة ( نوبل ) فرصٌ عادلة لكان نصيب الأدب العربي أكثر من بيضة ديك .

وهكذا نجد النشاط القيمي العربي يسهم في تطور النشاط العالمي ، وقد أصبح مفهوم القيمة في حقل السلوك الإنساني كمفهوم الطاقة أو القوة في العلم الحديث .

**المقولات البلاغية : التهكم**

لم يكن الفكر العالمي في طفولته ليفصل النظر عن العمل ، وقد ظل الإغريق القدامى يمزجون الفن النافع أو الصناعة بالفن الجميل . وكانوا يطلقون على الرجل المثالي كلمة تعني بآن واحد إنه صالح وجميل **Kalos Agtos** . وظل المعتزلة والمتكلمون يتحدثون عن الخير والشر باسم الحسن والقبح . وحرص المتصوفة على اتحاد شعوري الجمال والخير . ولكن الفكر الإنساني ما عتم أن تطور ، وافترقت القيم الرئيسة الثلاث بعضها عن بعض بادئ الأمر . ثم اشتد نماء فروعها فصار لكل فن أو قيمة مقولات متعددة يتفاوت تحديدها باختلاف المذاهب والثقافات . وليس بمستغرب أن نجد لغة الفصاحة ، وأمة الكلمة ، وتاريخ البيان تتيح لمثل ( ابن حجة الحموي ) تمييز ما ينوف على مائة وأربعين ضرباً من ضروب البلاغة ، وفنون البديع . منها ، على سبيل المثال : التهكم الذي نعته بأنه « نوع عزيز لعلو مناره ،



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وصعوبة مسلكه ، وكثرة التباسه بالهجاء في معرض المدح ، وبالهزل الذي يراد به الحق » .

والحق أن الناظر في هذا الفن يدرك عراقته في التاريخ البشري ، كما يدرك شأوه واستمراره . فقد امتدت جذوره إلى شتى الآداب والثقافات . وفي اللغة العربية كوكبة من المعاني الرهيفة التي تدور حوله دون أن تطابقه : كالفُكاهة ، والدُّعابة ، والإضمار ، والمواربة ، والتلميح ، والتورية ، والتوهيم ، والالغاز .. إلخ .

وقد تهكم ( الجاحظ ) و ( التوحيدي ) و ( ابن زيدون ) فيما سلف . وتهكم في الحاضر كثيرون عندنا . وجرى في هذا السياق ( سقراط ) و ( ارستوفان ) و ( مارسيال ) و ( جوفنال ) ، ثم ( رابله ) و ( شكسبير ) و ( موليير ) و ( فولتير ) و ( سويفت ) و ( مارك توين ) و ( برنارشو ) و ( بيير دانينوس ) ...

والتهكم يحظى في ثقافتنا ، وفي بعض ظروف حياتنا ، كما في الثقافة العالمية المعاصرة ، بعناية عظمى جعلت أكثر من باحث يعدّه ذروة الفطنة ، ومنطلق الفكر الثالث ، وهو الفكر الهادف الضاحك الناقد : يلهو ويؤنب ، ويهدم ليبني ، ويراوغ ليصدق ، يدّعي الجهل لينصر كلمة الحق ، ويهدم الوثنية و « الجمود » في الأعراف وفي الأفعال .

هكذا تشارك اللغة العربية ، ويشارك الذوق العربي ، في لون من أبرع ألوان الذكاء الجمالي في العالم . وليس بمحال أن يطرأ ظرف يمتح فيه أكثر من أدب أجنبي من معين إرهافات البديع العربي : وما أرقّها وأدقها ! وإن ما يُنقل الآن من العربية إلى لغات حية معاصرة ليشهد على هذا الإمكان .

ولكن المشاركة العربية في الثقافة العالمية لا تقتصر على مجالي الحقيقة والجمال . ذلك أن لقاءاً متميزاً يجمعنا والبشرَ في حقل خصيب رئيس هو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حقل العمل أو السلوك ، أي الأخلاق .. تُرى هل ثمة فضيلة عربية ؟ بمثل تساؤلنا عن وجود إنسان عربي وأرض عربية ؟

**العروبة : سجية حضارية**

ليست العروبة ، كما أسلفنا ، قومية عنصرية ، ولا سُخطاً أو تزمتاً . إنها مزاج حضاري كسائر أمزجة الأمم والأقوام . والمزاج الحضاري سجية شعب حين يفترق عن بقية الشعوب ، وحين يُقرن بهذه البقية من الشعوب .

وبقول آخر : إن خصائص الأمة تنحل في نهاية المطاف إلى ما يُكسبها المدح والاعتزاز ، أو مايجرّ عليها الذم والامتهان . ونحن ، بعفويتنا القومية ، نعجب طوعاً ، ويسرنا فضل العرب على العجم ، كما قال ( ابن قتيبة )[٢٣] . وقد نغلو بجاهلية فنَعني بالعجم كلَ من ليس عربياً . ومما يروقنا قول ( ابن المقفع ) عن أجدادنا الأقدمين : « إن العرب لم تزل في الجاهلية تتواصى بالحلم والحياء والتذمم ، وتتعاير بالبخل والغدر والسَفَه ، وتتنزه عن الدناءة والمذمة .. وتوجب للجار حفظ الجوار فوق ما توجبه للحميم والشقيق » .

ولكننا ننظر اليوم بعقولنا إلى وقائع الوجود البشري ، ونرى أن في الناس فضائل أيضاً . والفضيلة بمعناها الدقيق هي الاستعداد لفعل الخير . وهي اختيار . وكذلك الرذيلة . ولم يبق ممكناً ، ولا مقبولاً ، أن يَرجِع فكرنا القهقرى إلى عصور الطفولة البشرية ، فندّعي أن أمة ، أو قوماً ، يمكن أن يتحلى وحده بالفضيلة المطلقة ، وأن لا فضيلة لسواه ، أو أن يكون شعب ، حتى الشعب العربي ، مالكاً باستئثار فضائل البشر كافة ، وأنه مبرأ من كل نقيصة أو مذمة أو عيب .

والقول الفصل في ذلك كله امتزاج موصول لدى الأفراد والأمم لبعض فضيلة وبعض رذيلة . وهذه الأمشاج قوام الوجود الأخلاقي كما تجلوه اللغة العربية ، ومفكروها المدرسيون .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

**الفضيلة العربية :**

الفضيلة في « لسان العرب » هي الدرجة الرفيعة من الفضل . والتفاضل تمايز في الفضل . والفواضل هي الأيادي الجميلة . والإفضال الإحسان . وعند ( أبي البقاء ) الفضل هو كل عطية لا تلزم من يعطي . وهو بمعنى الزيادة . والفضيلة تدل على صفات الكمال من العلم ونحوه .. وهي ضد النقيصة ، ومجالها مجال الحكمة العملية من علم السلوك أو الأخلاق ، إلى علم السياسة ، أو تدبير المرء حياته ، وتدبير المنزل ، والمدينة ، والدولة ، فالمعمورة .

يقول ( ابن المقفع ) : « اختلف ثلاثة في العقل والدولة والعافية ، وتنازعوا أيهم هو الأفضل ؟ » وقصدوا حكيماً قلّب وجوه هذه القيم الثلاث ، وانتهى إلى التوفيق بينها « فصاروا هنالك شيئاً واحداً »[٢٤] . وهذا هو الحل الذي اعتنقه في منتصف القرن العشرين الفيلسوف العلّامة ( شارل لالو ) إذ عرض لتنافر قيم الفن والأخلاق ، ودرس تجاذبها وتنابذها . وانتهى في حلّ نزاعها إلى القول إن القيم كافة نلتقي في ذروة النظر المطلق[٢٥] .

**الكرامة الإنسانية :**

إن النظر الإنساني إلى معنى المطلق يقود إلى حلّ المشكلات القيمية في مجالات الحقيقة والخير والجمال . ويكفي أن نشير هنا إلى دلالة مفهوم ذائع جداً كان فيه للغة العربية والفكر العربي اسهام كبير في مسار التطور الثقافي العالمي ، وأعني مفهوم الكرامة الإنسانية .

فعلى صعيد الشعور بالكرامة يتجلى النشاط العربي في جوانب رئيسة شتى : منها الجانب اللغوي والديني والتاريخي والمثالي . ألم تقل العرب : فلان كريم المَحْتِد ، والمَنْصِب ، والمَنْبِت ، والعُنْصُر ، والمَغْرِس ، والجَذْم ، والأُرومة ، والنِجَار ، والأبوة ، والمنتضى ، والمُركَّب ، والجُرثُومة ، والمنتمى .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكذلك : فلان مُعِمّ ، مُخول ، وفلان كريم الضِّئضئ، والآصرة[٢٦] .. الخ . وقد قال بعضهم ، وما أحسن ما قال : الكرم مثل الحرية ، إلا أن الحرية قد تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة ، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة ...

وإلى جانب المعطى اللغوي والأدبي نجد في الجانب الديني أن الكريم من صفات الله تعالى وأسمائه . وقد جاء في الذكر الحكيم لفظ الكرم والكرام والأكرم والمُكْرم في خمسة وأربعين موضعاً . وجاءت كذلك الآية القائلة : ﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[٢٧]. وفي هذه الآية إيماء إلى مساواة الذكر والأنثى من حيث القيمة والأرومة ، مع إمكان تفاوت الناس كافة من حيث العمل الصالح ، والفعل الكريم .﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

وهذه المساواة من جهة ، والمنافسة والمباراة من جهة أخرى ، ظلتا تصطرعان في التاريخ العربي – الإسلامي . فالمساواة كأسنان المشط ، أو أسنان الحمار ، لم تتحقق دوماً في أرض الواقع . وظلت ثمة فوارقُ جنسية واجتماعية وقومية ، وربما عنصرية في بعض الأحيان . ولكن مطلب العزوف عن مساوئ الواقع ، وحصر المنافسة والخصام على ا لمباراة في ابتغاء المزيد من التقوى ظل في الوقت ذاته ناشطاً في ميادين السياسة والمجتمع والاقتصاد والعلم . وهذا الجدل الحي بين واقع مرفوض ، ومثل أعلى مرموق أنجب إرهافاً نامياً في معطيات الثقافة العربية الإسلامية ، من الفقه حيث الرأي والقياس والاجتهاد ، إلى سائر المنجزات العلمية والتطبيقية المتصلة بقواعد السلوك التي تتيح للإنسان ، وتوجب عليه ، تحقيق إنسانيته الأتم ، وعزتِه النوعية الأكمل . وإن النشاط العربي لغوياً ودينياً وتاريخياً ومثالياً في درب وعي الكرامة الآدمية إنما هو إسهام عظيم ، ومشاركة حية في الثقافة العالمية ، ومن ورائها في تقدم ما يسمى الحضارة والمدنية على قدر سواء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

**الحضارة والمدنية :**

والحق أن في وسعنا هنا أن نستفيد من خصائص لغتنا العربية الغالية ، فَنَمِيْزَ معنى الحضارة ومعنى المدنية أحدَهما عن صاحبه . فالحضارة قيمة إنسانية تدل على ما يغيّر به البشر معطيات الطبيعة . والثقافة جزء من الحضارة ، وإن كانت بعض اللغات تجعل الحضارة والثقافة بمعنى واحد . أما المدنية فإنها الغاية التي تنشدها البشرية كلُها وتتخذها في أيامنا هدفاً مشتركاً أسمى لكل فاعلية حضارية وثقافية معاً . إن الحضارة لا تكون صالحة ، ولا قيمة مبتغاة ، بل قد تمسي شراً ورذيلة وهمجية حين تنحازُ إلى القوة الغاشمة فتغفلُ القيم الإيجابية ، وتزِنُ بميزانين : أحدهما للقوي أو للأقوى .

في الحضارة ثقافة عاجزة إن لم تؤيد بقوة الحق المبين . وفي الثقافة جهود عقلية وفكرية وعاطفية ، يخسر أصحابها ثمار نَصَبهم إذا لم تؤتِ مشاركتهم أُكلها في الحياة وفي الوجود . أما المدنية فهي المفهوم – القيمة المشتركة الأسمى التي تتسق وكرامة الإنسان الفرد ، والإنسان المجتمع . إنها مطمح الأخلاق والقانون والفكر والعمل ، والفلسفة والسلوك . وهي الديمقراطية ، والإخاء ، والتعاضد ، والوفاء : شمولها يمتد من مكافحة المجاعة والأوبئة والتلوث إلى توافر الأمن والرخاء ومساواة الناس بعضِهم بعضاً ، إن لم نقل إحسان الإنسان إلى الإنسان .

وفي هذا الإطار القيمي الرحب ، وعلى هذا النحو من المشاركة التاريخية اللازبة ، تسهم ثقافتنا العربية ، عَبْر لغتنا المعطاء ، إسهاماً وافياً في الثقافة العالمية ، وهو إسهام جدير بالإبانة والتقدير .

أيها السيدات والسادة :

إن هذا كله غيض من فيض رسالة المجمع الخالدة ، ينهض بها قادةٌ أجلّاء مجمعيون .

طبتم عيشاً ، وأفضلتم سَمَاعاً ، وأجملتم صبراً ، فالشكر لكم ، والسلام عليكم.



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحواشي

(١) د. شاكر الفحام : حفل استقبال د. محمد زهير البابا ( مجلة المجمع ـ المجلد ٦٤ ج٣ تموز ١٩٨٩ ) .

(٢) د. عبد الكريم اليافي : حفل استقبال د. عبد الحليم سويدان ( مجلة المجمع المجلد ٥٩ ج٣ تموز ١٩٨٤ ) .

(٣) أخوان الصفاء : الرسائل ـ تصحيح خير الدين الزركلي ـ القاهرة ١٩٢٨ ج٣ الرسالة ١٧ ص١٥٢ .

(٤) جاء على لسان ( فؤاد الخطيب ) قوله :

وهل لعيوني ، قبل موتي ، أن أرى فتى عربياً يأنف الذل مقعدا ؟
يردّ على « أم اللغات » جلالها ويجعل للمجد الطريقَ معبَّدا ؟

( المجلة ـ العدد ٤٠ السنة ٤ أبريل.( نيسان ) ١٩٦٠ ص٥٨ ) .

(٥) د. عبد الحليم سويدان : خطابه في حفل استقباله ( مجلة المجمع ـ المجلد ٥٩ ج٣ تموز ١٩٨٤ ) .

(٦) شفيق جبري : حفل استقبال د. حكمة هاشم بتاريخ ١٩٥٤/٣/٢٥ .

(٧) حفل استقبال د. شكري فيصل بتاريخ ١٩٦٣/٢/١ .

(٨) حفل استقبال د. مختار هاشم بتاريخ ١٩٨٩/٥/١١ ( مجلة المجمع المجلد ٦٤ ج٣ تموز ١٩٨٩ ص٤٤٨ ) .

(٩) عبد الكريم زهور : خطابه في حفل استقباله ( مجلة المجمع المجلد ٥٥ ج٣ تموز ١٩٨٠ ) .

(١٠) د. عبد الكريم اليافي : خطابه في حفل استقباله ( مجلة المجمع المجلد ٥٢ ج٣ تموز ١٩٧٧ ) .

(١١) د. شاكر الفحام : حفل استقبال د. محمد زهير البابا ( المصدر المذكور ) .

(١٢) د. إحسان النص : خطابه في حفل استقباله ( مجلة المجمع المجلد ٦٤ ج٣ تموز ١٩٨٩ ص٤٩٥ ) .

(١٣) عبد الكريم زهور : خطابه في حفل استقباله ( المصدر المذكور ) .

(١٤) الأمير مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ط٢ دمشق ١٩٦٥ ص٣٢ وص١٧٦ .

(١٥) سورة البقرة /٢٥٥ .

(١٦) سورة يونس /٩٩ .

(١٧) د. جميل صليبا : الإنتاج الفلسفي خلال المائة السنة الأخيرة في العالم العربي ( مجلة



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المجمع مجلد ٣٦ ج٤ ومجلد ٣٧ ج١ ) ـ وانظر : الفكر الفلسفي في مائة سنة ( هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأميركية ـ بيروت ١٩٦٢ ص٣٩٣ ) .

(١٨) أبو يوسف يعقوب بن إسحق السكيت : مختصر تهذيب الألفاظ ـ تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي ـ بيروت ١٨٩٧ ص١١٢ .

(١٩) المعجم العام للعلوم الاجتماعية بإشراف ( ج. تينس وآ. لامبرور ) باريز ١٩٧٥ ـ مادة أبستمولوجيا .

(٢٠) أبو منصور عبد الله بن محمد الثعالبي : فقه اللغة وسر اللغة العربية ـ القاهرة ـ بلاتا ص٢٢٦ .

(٢١) أبو حاتم محمد بن حبان البستي : روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ـ صححه مصطفى السقا ـ القاهرة ١٩٥٥ ص١١ .

(٢٢) المصدر السابق ص١٠٣ .

(٢٣) محمد كردعلي : رسائل البلغاء : كتاب العرب لابن قتيبة ـ ( ط٣ القاهرة ١٩٤٦ ص٣٤٤ ) .

(٢٤) المصدر السابق : يتيمة السلطان لابن المقفع (ص١٤٦) .

(٢٥) شارل لالو : الفن والأخلاق ـ ترجمة عادل العوا ـ دمشق ١٩٦٥ .

(٢٦) عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني : الألفاظ الكتابية ـ القاهرة ١٩٣١ ص٣١ .

(٢٧) سورة الحجرات/١٣ .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net